

التاريخ للحالات الوبائية في بلاد المغرب -رحلتي بن حمادوش وبيسونال أنموذجا-

د . سمير مشوشة،

samirmechoucha@gmail.com

جامعة عبد الحميد مهري-قسنطينة 2-الجزائر-

تاريخ الإرسال: 01 / 07 / 2020 ؛ تاريخ القبول: 27 / 03 / 2023

History of epidemiological situation the countries of the Maghreb - The journeys of ben Hammadouche and peyssonal model -

Abstract: In the board of many historical documents of various types and fields, references and suggestions carrying with them indicators of the history of a particular event or events, and perhaps one of these facts we find these epidemiological cases known to the region of the Countries of the Maghreb during the 18th century. Many of the authors of these historical and contemporary blogs have been doctors, pharmacists and scientists in certain disciplines, and have received wide attention from researchers and historians on the themes of these topics. Perhaps a good example of this is the French naturalist André peyssonal and the Algerian traveler Abderrazak Ben Hammadouch, both of whom experienced examples of deadly epidemics that had clear effects on the moroccan population in general. It did not differentiate between rulers, scholars, muftis, merchants, poor people and others, and despite medical and pharmaceutical interventions and various preventive measures taken by the rulers and even the population themselves when they heard and confirmed the

existence of mobile infectious epidemics among Moroccan countries to minimize the effects of these epidemics, they were not enough, This research paper carries with it many objectives, the most important of which is to diagnose the reality of Health and the epidemiological situation that the Maghreb during the 18th century in the light of the travels of Ibn hamadouch and Andre peyssonal, One of the most important findings was that despite the fragility of the health system in the Maghreb during the 18th century, there was some health awareness among the population of the seriousness of these deadly epidemics.

Keywords: Epidemics ; The Land of the Moroccans ; Ibn Hammadouche ; peyssonal ; Preventive measures.

الملخص:

جاء في متن عديد الوثائق التاريخية بمختلف أنماطها ومجالاتها، إشارات وإيجاءات تحمل في طياتها مؤشرات لعمليات التأريخ لحدث أو أحداث معينة، ولعل من هذه الوقائع نجد تلك الحالات الوبائية التي عرفتها منطقة بلاد المغرب خلال القرن 18م. وقد كان العديد من مؤلفي هذه المدونات التاريخية والمعاصرين لهذه الأوبئة أطباء وصيادلة وعلماء في تخصصات معينة، وقد لاقى الاهتمام الواسع من قبل الباحثين والمؤرخين في محاور هذه المواضيع. ولعل خير مثال على ذلك: عالم الطبيعيات الطبيب الفرنسي أندريه بيسونال والرحالة الجزائري عبد الرزاق بن حمادوش، حيث عاصروا كل منهما نماذج أوبئة فتاكة كانت لها آثار واضحة على سكان بلاد المغرب بصفة عامة. ولم تفرق بين الحكام والعلماء والمفتين والتجار والبسطاء وغيرهم، ورغم التدخلات الطبية

والصيدلية ومختلف الإجراءات الوقائية التي قام بها الحكام وحتى السكان أنفسهم حين سماعهم وتأكدهم بوجود أوبئة معدية متنقلة بين بلدان المغرب للتقليل من آثار هذه الأوبئة، إلا أنها لم تكن كافية، فهذه الورقة البحثية تحمل في طياتها عديد الأهداف ومن أهمها تشخيص واقع الصحة والحالة الوبائية التي عرفتها بلاد المغرب خلال القرن 18م على ضوء رحلتي ابن حمادوش وأندريه بيسونال، ومن أهم النتائج التي تم التوصل إليها أنه على الرغم من هشاشة المنظومة الصحية في بلاد المغرب خلال القرن 18م، إلا أنه بالمقابل كان هناك بعض الوعي الصحي لدى السكان بخطورة هذه الأوبئة الفتاكة.

الكلمات المفتاحية: الأوبئة؛ بلاد المغرب؛ ابن حمادوش؛ بيسونال؛

الإجراءات الوقائية.

مقدمة:

ظهر خلال القرن 18م عديد المؤلفات التاريخية المصدرة الهامة المتعلقة ببلاد المغرب والتي تناولت في متونها عديد القضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية... وغيرها، من بينها جملة من الكتابات المونوغرافية التي تناولت بشكل مقتضب مختلف الحالات الوبائية ببلاد المغرب منها رحلة الطبيب الفرنسي أندريه بيسونال (انظر التعليق رقم 02)، المولود سنة 1694م، فهو من عائلة عريقة في ميدان الطب بمرسيليا، وقد كلف بداية القرن 18م لدراسة التاريخ الطبيعي لإفريقيا الشمالية فزار إيالة تونس بين (28 ماي 1724-10 جانفي 1725م)

بعدها الجزائر بين (11 جانفي 1725-أكتوبر 1725م)، وكان يرسل تقارير ورسائل زيارته إلى مسؤوليه بباريس والتي تجاوزت الأغراض العلمية التي أتى من أجلها (أندريه بيسونال، 2003: 10-11).

و في السياق نفسه دائما، تعتبر رحلة بن حمادوش الجزائري (أنظر التعليق رقم 01) والمسماة " لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال" والتي قام بها سنة 1743م، من مصنفات الرحلات غير الحجازية ونادرة من نواذر فن الرحلة خلال 18م. وقد كان مؤلفها ملما بمجال الطب والصيدلة في عصره وكان له عديد المؤلفات في هذا المجال، وقد لاقت كتاباته المختلفة الاهتمام الواسع من قبل الباحثين والمؤرخين في محاور موضوع الأوبئة والأمراض ببلاد المغرب.

فمن خلال هذه المعطيات التاريخية وأخرى وتتبعنا لتون مختلف المصادر والدراسات التاريخية تأتي هذه الورقة البحثية في سياق الموضوع، والتي نهدف من خلالها إلى عرض رؤية تاريخية مونوغرافية لأمثلة ونماذج أوبئة ظهرت ببلاد المغرب خلال القرن 18م وآثارها، معتمدا في ذلك على المنهج التحليلي والوصفي، والتساؤل المطروح في هذا الخصوص: ماهي الظرفيات التاريخية لهذه الأوبئة؟ وما هي الميكانيزمات التي كان يتم بها مجابته؟.

1-الأوبئة الفتاكة، قاسم تاريخي مغربي مشترك:

1-1 أوبئة تونس في بدايات العهد العثماني:

يستشف دارس الأوبئة في بلاد المغرب خلال العهد العثماني أنها كانت القاسم المشترك بينها، فأغلب الوثائق والمصادر تشير أن ظهور وباء معين في إحدى البلدان المغاربية بعدما يفتك بسكان ذلك البلد ويخلف عديد الوفيات والأزمات الاجتماعية، هذا الأخير لا محال سينتشر في البلاد المجاورة بكل أريحية إذا لم يتم اعتماد مختلف الإجراءات والإحترازمات الوقائية.

فعدد المصادر التاريخية تذكر أن إيالة تونس كانت تصاب كل ثلاث أو أربع سنوات بوباء معين يحصد آلاف الأرواح، وقد أكد ذلك الباحث أحمد قاسم في دارسته القيمة لفتاوى بن عظم (أنظر التعليق رقم 03) (أحمد قاسم، 2004: 35-43) حيث "مات أب ومات من بعده أبناء اللذان كانا يشتغلان في سوق الرز، ولم يبق في العائلة أي ابن بدليل أن العم أصبح عاصبا"، وبخصوص الظهور الأول لهذا الوباء فقد أكدته إحدى هذه الوثائق والذي كان سنة 1555م، بحيث ظهر في منطقة المنستير وانتقل بعدها إلى صفاقس وهو ما تقره وثيقة استفتاء مؤرخة في أواخر سبتمبر 1593 "أن أبا كان تصدق على بناته ببعض العقار من فرن وفندق قرب باب البحر ومخزن بالقيسارية وذلك أوائل شهر ربيع الثاني من عام 963/ فيفري 1556. زمن الوباء. وتلاحظ الوثيقة أن المتصدق أصيب به في الشهر الموالي من تاريخ الصدقة ومات من مرضه" (أحمد قاسم، 2004: 181).

ولعل افتك هذه الأوبئة التي ظهر بتونس في بدايات عثمتها هو "وباء بوريشة" والذي ظهر في عهد عثمان داي سنة 1604-1605م وقد وصفه ابن أبي دينار في مؤلفه "المؤنس" بالفناء الأعظم (ابن أبي دينار، تح: محمد شمام، تونس، 1967: 203)، وقد كانت له آثارا وخيمة على أهلة تونس وصاحبه غلاء في الحبوب وتراجع كبير في قيمة العملة التونسية (محمد الأندلسي، 1870: ج 2، 2)، ودام هذا الوباء ثلاث سنوات وانتشر حتى في جزيرة جربة. ويذكر أحد الشهود من الأوروبيين لهذا الوباء في تلك الفترة أنه "كان شديدا لدرجة استحالة معها تسجيل وصية أخيه بالطرق العادية في القنصلية الفرنسية. فقد أصاب الوباء الشهود وكان ذلك في 1605/5/5. ووصفه بعضهم بأنه أدخل المدن والأرياف من السكان وبأنه كان سببا في ظهور المجاعة" (أحمد قاسم، 2004: 182-183). وفي سنة 1622م ظهر وباء آخر عم أغلب مدينة سوسة وجزيرة جربة وكان يفتك بجوالي ألفي ساكن، واستمر هذا الوباء إلى غاية سنة 1625م (أحمد قاسم، 2004: 183).

ولم يخلو القرن 18م من انتشار العديد من الأوبئة والأمراض الفتاكة في الإيالة التونسية ولعل أبرزها سنة 1705م، فكان شديد الفتك بالأهالي، وهو ما يؤكد ويقره لنا الطبيب الرحالة الفرنسي أندري بيسونال في رحلته سنة (1724-1725م) أنه "ومنذ قرابة العشرين سنة لم يداهم الوباء هذه البلاد، ولكنني علمت من السيد دي لا بيروز de Lapérouse، مدير وممثل شركة الهند لكاب نيقرو، ومن عدة أشخاص

آخرين كانوا في هذه البلاد... سنة 1705م، بأنه عندما انتشر به الوباء، كان شديد الفتك هنا مثل أوروبا" (أندرية بيسونال، 2003: 127). ولعل ما يقصده بيسونال من هذه الإفادة التاريخية حول هذا الوباء هو ذلك الطاعون الذي عرفته إيالة تونس في فيفري 1705م على إثر انسحاب إبراهيم الشريف من حملته ضد طرابلس، وقد قدر ابن أبي الضياف عدد ضحاياه بنحو سبعمائة (700) شخص يوميا (أحمد ابن أبي الضياف، 1999: ج 2، 100).

1-2 حركية وانتشار الأوبئة في إيالة الجزائر خلال القرن 18م::

يرى أغلب المؤرخين والباحثين في مختلف دراساتهم أن مصدر مختلف الأوبئة التي ضربت إيالة الجزائر خلال القرن 18م هي بلاد المشرق، وهذا من خلال الحركية الديمغرافية الكبيرة التي كانت تتم بين بلاد المغرب وبلاد المشرق (أحمد بحري، 2013، ج 2: 189)، وهو ما اعتبر بعدئذ بمثابة أهم العوامل في انتقال عدوى وخطر مختلف الأوبئة إلى إيالة الجزائر خاصة عن طريق الملاحة البحرية المتوسطية. وما يلاحظ في الحالة الصحية سواء في المدن أو الأرياف الجزائرية خلال القرن 18م أنها كانت سيئة وصعبة جدا وكانت أغلبها في إطار وقالب "آفات اجتماعية" مصاحبة لحياة الفرد في الجزائر العثمانية.

ولعل سبب انتقال وحركية العدوى بمختلف الأوبئة والأمراض وخاصة من بلدان المغرب الحدودية أو بلدان جنوب أوروبا وحتى بلاد المشرق هو الصلات والانفتاح الجغرافي لإيالة الجزائر سواء أكان ذلك تجاريا أو عسكريا وغيرها من الصلات، وببدا مختلف الأمراض الفتاكة كالطاعون والكوليرا والجذري والسل كانت تنتقل من مواطنها

الأصلية خلال توافد التجار والحجاج والطلبة من المشرق إلى الموانئ الجزائرية (ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، 1984: 88).

ومما ساعد في توطين مختلف الأوبئة في إيالة الجزائر هي القابلية الطبيعية لاحتضان مختلف هذه الأمراض المعدية، ويتضح ذلك جليا في انتشار المستقعات وعدم إلزام الأهلة بمختلف شروط وقواعد الصحة، بالإضافة إلى غياب الوعي الثقافي الصحي بمختلف الأدوية والعقاقير و "حتى الصيدلية الوحيدة الموجودة بمدينة الجزائر حسب ما أورده الرحالة الألماني مارسيل، كانت لا تتوفر إلا على بعض العقاقير الحشائش، وأن الباشا جراح القائم عليها كان يجهل مواصفاتها وفوائدها الطبية" (ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، 1984: 88).

ويقر لنا أحد المعاصرين لانتشار الأوبئة خلال القرن 18م في إيالة الجزائر ألا وهو نقيب أشرف الجزائر الشريف الزهار من خلال مذكراته أنه " في سنة 1201هـ جاء الوباء للجزائر ... قبل أنه أتى من بحر الترك في مركب مع رجل يدعى ابن سماية وطال الوباء بالجزائر إلى سنة 1211هـ" (أحمد الشريف الزهار، 1974: 51)، وهي دلالة واضحة وتأكيد على أن حركية أغلب الأوبئة الفتاكة التي ظهرت في الجزائر مصدرها هي بلاد المشرق وخاصة مختلف الأقاليم العثمانية (توفيق دهماني، 2013: 137).

ومن جانب آخر، ما كان يميز الحالة الصحية في إيالة الجزائر هو تدهور أوضاعها فظهرت الأوبئة الفتاكة التي كان لها أسوأ المخلفات

على ساكنة الإيالة طيلة القرن 18م تقريبا (عائشة غطاس، سبتمبر 1998: 361)، وأغلب المختصين في الدراسات العثمانية يقرون بأن سبب ذلك يعود أساسا إلى انعدام تدابير الوقاية الصحية، والجهل بمختلف القواعد الصحية (ناصر الدين سعيدوني، ديسمبر 1985: 432).

وشكل وباء الطاعون الذي يظهر بين الفينة والأخرى في ربوع الإيالة طيلة العهد العثماني تقريبا أخطر وافتك الأوبئة والتي عانت منها مختلف الفئات الاجتماعية، فكان بمثابة أهم الأسباب في ظهور انهيار ديمغرافي وتدهور للوضع الصحي وبالتالي تأثيره على البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري آنذاك (فلة موساوي القشاعي، د.ت: 219)، وقد كان بابلك الغرب الجزائري أقل المناطق تضررا من هذا الوباء بنسبة لا تتعدى 15% طيلة الفترة العثمانية (Boubaker, 323: 1955).

وفي نهاية القرن 18م ومن خلال رحلة المكناسي يتجلى لنا بأن مدينة الجزائر وعلى الرغم من الصراعات والحملات العسكرية الأوربية عليها إلا أنه تم تسجيل وباء الطاعون القاتل سنة 1785م ويقره هذا الرحالة بقوله: "... وقد وجدنا بهذه المدينة وأعمالها الطاعون ومات به خلق كثير..." (محمد بن عبد الوهاب المكناسي، 2003: 331).

وبالمقابل كان لنقص الرعاية الصحية من أهم المسببات في انتشار مختلف الأوبئة بالإضافة إلى عدم اهتمام الحكام بالجانب الصحي من خلال عدم بناء وتشيد المستشفيات للسكان في الوقت الذي " كان كبار المسؤولين في الدولة يهتمون بشؤون صحتهم الخاصة، ويصطنعون

لهم الأطباء كلما وجدوا إلى ذلك سبيلا... ولم يشجعوا دراسة الطب في المدارس ولم ينشئوا أكاديميات طبية للبحث، لكنهم كانوا مهتمين فقط بالأسباب العاجلة كذلك نقرأ في الوثائق أن بعض الباشوات والبايات قد جلبوا أطباء أوروبيين بالشراء ونحوه ومعظم هؤلاء الأطباء كانوا يأتون أسرى عند النزاع البحري" (أبوالقاسم سعد الله، 1998، ج2: 431).

3- التاريخ للأوبئة من خلال رحلة بن حمادوش الجزائري:

يعتبر بن حمادوش الجزائري من الأطباء والصيدال الذين عاشوا بعض الأوبئة الفتاكة سواء في تنقلاته ورحلاته إلى بلاد المشرق أو إلى بلاد المغرب، وتشكل مؤلفاته المختلفة إحدى المصادر المرجعية لدارسي موضوع الأوبئة خلال القرن 18م. فمؤلفه الموسوم بـ: "لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال" أو المعروفة برحلة بن حمادوش الجزائري والتي ألفها سنة 1743م، أشار فيها إلى نماذج أوبئة فتاكة عاشها خلال رحلته إلى المغرب الأقصى ومن هذه الإشارات نجد قوله: "ولمضي أربعة أدراج من غروب شمس ليلة الجمعة مات الحاج عبد القادر المذكور بالبواء شهيدا، رحمه الله، يصلي من غروب الشمس إلى أن سجد، فمات في سجوده، رحمة الله عليه. وكفناه في ساعته وغسله الحاج عبد الرحمن التطاوني (التطاوني)، وصليت عليه اماما مع الجماعة كلهم بعد صلاة العشاء..." (عبد الرزاق بن حمادوش، 2007: 30-31).

وفي إشارة أخرى لمرض الرحالة نفسه وإصابته بحمى مميتة بقوله: " ثم منعي المرض. كانت أصابتي حمى شديدة. فلم أستطع القراءة..."،

بعدها يوضح لنا ابن حمادوش الآلية التي مكنته من علاج هذه الحمى القاتلة حيث أنه اشترى ثلاثة أثمان من الكين كينه، " فاشتريتها بستة موزونات. فلما أخذتني واشتد بي بردها ضحاء يوم السبت، سابع ربيع الأولى، دققت الثمن الأول وشربته في فنجال قهوة من اللبن. فلما استقر في بطني أمسكت الأعضاء كلها عن الاختلاج إلا عرقا واحدا في يد اليمنى بقي يختلج اختلاجا يسير..." ويضيف مستطردا في ذلك: " فلما شربت الثمن الثاني انقطع من كل عضوا. ثم شربت الثمن الثالث فلم يبق بي ألم منها... فبقيت كذلك إلى غروب الشمس، فانصرفت تلك الحرارة عني، والحمد لله... وبت نعم مبيت. وكان آخر ما رأيت الحمى. والحمد لله" (عبد الرزاق بن حمادوش، 2007: 84).

وفي دلالة تاريخية أخرى حول الأوبئة الفتاكة التي شهدتها المغرب الأقصى يقر ابن حمادوش أنه كان شاهدا لوفاة الشيخ ابن المبارك بالوباء والذي لم يظهر عليه في بداية مرضه، حيث ظهرت عليه أعراض حمى مرتفعة لتسوء بعده حالته الصحية بظهور جبة في فخذه وحمرة في ساقه " فتعين وباء"، وقبل طلوع الفجر من يوم الجمعة " بنحو ساعة أو أكثر، فيما قيل، مات، رحمة الله عليه، فغسل وكفن وصنعت عليه قبة/ فوق النعش... وحمل إلى جامع القرويين، فصلى عليه قاضي الوقت... بعد صلاة الجمعة، وحمل إلى خارج بابا الفتوح فدفن في قبة فيها قبر سيدي عبد العزيز الدباغ الشريف..." (عبد الرزاق بن حمادوش، 2007: 86).

4 - أهم الإجراءات الوقائية المعتمدة للحد من انتشار مختلف

الأوبئة:

مثلما كان لانتشار مختلف الأوبئة الفتاكة ببلاد المغرب خلال القرن 18م تأثيرا بالغا خاصة على البنية الديمغرافية لمجتمعاتها، اعتمدت جملة من الإجراءات الوقائية للتقليل من آثار هذه الأوبئة ولعل من أبرزها مايلي:

4-1 تشييد بعض المصحات والمستشفيات:

كان لتشييد بعض أماكن العلاج في شكل مصحات ومستشفيات صغيرة الأثر البالغ في تقليل نسبة الوفيات من مختلف الأوبئة التي عرفت الجزائر، مثل "مصحة زنقة الهواء وملجأ الأمراض العقلية المخصص للأتراك، بالإضافة إلى مارستانات رجال الدين المسيحيين التي كانت تنفق عليها الدول الأوروبية ومن أهمها المارستان العام لرجال الدين الإسبان الذي أقامه الأب الإسباني سيباستيان دويون عام 1551، لفائدة الأسرى، وقد أعيد تجديده عام 1612، وأصبح يتلقى اعانة سنوية من الحكومة الإسبانية بلغت بلغت في القرن الثامن عشر حوالي 10.000 فرنك"، بالإضافة إلى مستشفى آخر أنشأه الراهب "فاريديو" عام 1662م بالقرب من باب عزون، وأيضا مستشفى "لازاريست" والمستشفى الفرنسي بحصن فرنسا في شرق الجزائر (ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، 1984: 88).

4-2 الأحزمة الصحية:

ونقصد بها نظام العزل الصحي لمناطق أصابها الوباء، لكنه لم يكن معتمدا من أغلب حكام بلاد المغرب بسبب عدم اهتمامهم بأمور الصحة ولا يولونها العناية اللازمة، إلا أن بعض الدراسات التاريخية تذكر أن صالح باي قسنطينة فرض حزاما صحيا حول منطقة عنابة سنة

1787م ليمنع انتقاله إلى عاصمة بايلك الشرق "قسنطينة"، في حين أن حاكم وهران "الباي عصمان" قام سنة 1794م باللجوء إلى سهول مليتية لمدة ثلاثة شهور بعيدا عن أهله وهران خوفا من العدوى بالوباء الذي ضرب ناحية وهران (ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، 1984: 88).

وفي إيالة تونس نجد أيضا أن هذا النظام الصحي كان معتمدا من طرف بعض حكامها، فمنع تفشي وباء الطاعون سنة 1725م فرضت قوانين منع التنقل والسفر من تلك البلاد إلى بلاد أخرى، ولكن لا يجبر السكان على الذهاب حيث هو موجود، "وانطلاقا من هذا الشرط أو عدم وجود أمر يعتمد الباي وحكام تونس للحفاظ من الوباء، فقد أقنعهم النصارى بأنه معد، وأنه بالإمكان الاحتماء منه بتجنب الاتصال بالمصابين..." (أندريه بيسونال، 2003: 127-128).

4- 3 نظام الحجر الصحي أو "الكرنطينة":

تشير أغلب المصادر والدراسات التاريخية أن نظام الحجر الصحي كانت أحد أهم السبل لمنع انتقال أي وباء معد، فالرحالة ابن حمادوش الجزائري يؤكد لنا أنه كان معمولا به في مختلف موانئ الإيالة إذ يقول: "... وفي ثالث رجب الموافق آخر يوم من يولييه قدم علينا مركب من اسكندرية بالحجاج، وفيه الوباء فمنعهم الباشا الدخول، حمية من أن يقوم ممرض على مصح. إلى ثامن عشرة، موافق خامس أوغشت، اذن لهم في الدخول، بعد تحقق سلامتهم من المرض المذكور" (عبد الرزاق بن حمادوش، 2007: 121).

وإذا ما أسقطنا هذا الإجراء الوقائي على إيالة تونس سنجد أنه كان معمولا به أيضا في مجابهة مختلف الأوبئة المعدية، خاصة بعد تأكد حكامها بأنه إجراء صحي ناجح و" أصبحوا لا يريدون السماح لأي سفينة قادمة من أماكن موبوءة بالإرساء. فقد رفضوا ذلك للفرنسيين عندما انتشر الوباء بجنوب فرنسا، فلم يعودوا يرغبون في قبول أي سفينة، حتى وإن اشترطوا فرض الكرنيتية عليها. فهناك أوامر لكل أغات الموانئ البحرية، بتفقد رخص السفن القادمة من المشرق، ومنعهم من الدخول إن كانت لهم رخصة مجهولة، أي عندما يأتون من أماكن مشكوك فيها فيها..." (أندريه بيسونال، 2003: 128).

الخاتمة:

من خلال ما سبق التطرق إليه نستخلص أن التأريخ لمثل هذه الوقائع الصحية والوبائية ببلاد المغرب لم تكن جديدة في ساحة البحث التاريخي، فذهب العديد من المعاصرين للفترة العثمانية وخاصة خلال القرن 18م إلى تدوين وإخراج مؤلفات مصدرية هامة توضح لنا ماهية هذه الأوبئة وكيف أثرت في مختلف مناحي الحياة وخاصة الاجتماعية منها، ولعل من أهمها وأبرز المهتمين بهذا الجانب ومن خلال هذه الدراسة نجد الرحالة الجزائري ابن حمادوش والطبيب الرحالة الفرنسي أندري بيسونال والتي جاءت رحلتها بمثابة مادة خبرية خام ووجب على كل الباحثين في هذا المجال الرجوع إليها، كما يمكننا القول أيضا من كل هذا أنه على الرغم من وجود منظومات صحية تميز بالهشاشة في بلاد المغرب خلال القرن 18م، إلا أنه بالمقابل كان هناك بعض الوعي الصحي لدى السكان بخطورة هذه الأوبئة الفتاكة، فأغلب

المؤلفين وخاصة منهم المسلمين يثبتون أن هذا الوعي كان عاليا، في حين أن نظرائهم من الأوروبيين ينفونه جملة وتفصيلا ويقولون بأن أغلب الأوبئة التي مرت بها بلاد المغرب كان سببها قلة وانعدام الوعي الصحي.

ومهما يكن من أمر الاختلاف التاريخي في مثل هكذا مواضيع، فإن اعتماد حكام بلاد المغرب خلال القرن 18م وحتى بعض السكان أنفسهم جملة من الإجراءات الوقائية والاحترازية جنببت عديد أهلة هذا المجال الجغرافي كوارث ديمغرافية كانت ستؤدي إلى زوال ساكنة مناطق بأكملها.

التعليقات والشروحات:

- التعليق رقم 01

ابن حمادوش الجزائري: جاء في تحقيق الرحلة الذي قام به الأستاذ أبو القاسم سعد الله بأن عبد الرزاق بن محمد المعروف تاريخيا بابن حمادوش الجزائري عاش خلال القرن 12هـ/18م، ولد بمدينة الجزائر سنة 1107هـ/1695م، أتم تعليمه الأولي بمسقط رأسه، درس العلوم الشرعية والفقه والنحو والتصوف والأدب وبرع في مجال العلوم الطبية وأصبح فيما بعد صيدليا وطيبيا، قام بأداء فريضة الحج مرتين الأولى كانت سنة 1125هـ/1712م والثانية سنة 1113هـ/1718م، لكنه قام برحلة أخرى إلى المغرب الأقصى عام 1156هـ/1743م، وتنقل فيها بين تطوان ومكناس وفاس، توفي وعمره حوالي تسعين سنة فلم يعلم تاريخ وفاته ولا مكان دفنه. (للمزيد أنظر: ابن حمادوش الجزائري عبد الرزاق،

(2007). رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة " لسان المقال..."، تقديم وتحقيق: أبو القاسم سعد الله، طبعة خاصة. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب. ص-ص 9-10).

التعليق رقم 02

أندرية بيسونال: هو جون أندرية بايسونال (Jean-André Peyssonnel): أصيل مرسيليا الفرنسية ولد سنة 1694 وتوفي سنة 1759 وهو طبيب وعالم طبيعة فرنسي، والده هو الطبيب المشهور تشارل بايسونيل المولود في 1640، والذي مات في سن الـ 80 في سنة الطاعون في 1720، ضحية تفانيه في خدمة المرضى، قام بالعديد من الرحلات على طول ساحل البحر الأبيض المتوسط لدراسة طبيعة المرجان، ينته أكاديمية العلوم الفرنسية في 1723 مراسلا لإتيان فرانسوا جوفروا، ارتحل في بلاد المغرب 1724 و منها في شكل سفريات في مناطق إيالتي تونس والجزائر. (للمزيد أنظر: بيسونال أندرية، (2003). الرحلة إلى تونس (1724)، ترجمة وتحقيق: محمد العربي السنوسي، تصدير خليفة الشاطر. تونس: مركز النشر الجامعي، ص-ص 9-11).

التعليق رقم 03

ابن عظوم: هو أبو القاسم بن محمد مرزوق بن عبد الجليل بن محمد، ينتمي إلى بطن مراد بن بني هلال، اشتهرت عائلته بالعلم، وقدمت للقيروان خصوصا ولتونس عموما طبقات من العلماء والفقهاء، تولوا المناصب الشرعية، كان له نشاط علمي كثيف، فوضع برنامج

"الشوارد" وذكر أنه أنهاه في 20 مارس 1576م، ونال به شهرة علمية واسعة، (للمزيد أنظر، أحمد قاسم، (2004). إيالة تونس العثمانية على ضوء فتاوى ابن عظوم (1574-1600م)، تقديم: عبد الجليل التميمي، ط1. تونس: منشورات التميمي للبحث العلمي والمعلومات، ص 35، 39.

المصادر والمراجع:

- الأندلسي محمد، (1870). الحلل السندسية في الأخبار التونسية، ج2. تونس: مطبعة الدولة التونسية بمحاضرتها المحمية.
- الزهار أحمد الشريف، (1974). مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، نقيب أشرف الجزائر، تقديم وتعليق: أحمد توفيق المدني. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- ابن أبي دينار، (1967). المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تح: محمد شمام. تونس: المكتبة العتيقة.
- ابن أبي الضياف أحمد، (1999). تحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تح: لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، ج2. تونس: الدار العربية للكتاب.
- ابن حمادوش الجزائري عبد الرزاق، (2007). رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة " لسان المقال..."، تقديم وتحقيق: أبو القاسم سعد الله، طبعة خاصة. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- القشاعي فلة موساوي، (د.ت). الواقع الصحي والسكاني في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي 1518-1871م. الجزائر: منشورات بن سنان.
- المكناسي محمد بن عبد الوهاب، (2003). رحلة المكناسي، إحراز المعلى والربيب في حج بيت الله الحرام...، تح: محمد بوكبوط. أبوظبي: دار السويدي للنشر والتوزيع.

- بحري أحمد، (2013). الجزائر في عهد الدايات، دراسة للحياة الاجتماعية إبان الحقبة العثمانية، ج2. الجزائر: دار كفاية.
- بيسونال أندريه، (2003). الرحلة إلى تونس (1724)، ترجمة وتحقيق: محمد العربي السنوسي، تصدير خليفة الشاطر. تونس: مركز النشر الجامعي.
- دهماني توفيق، (2013). "الأوضاع الصحية والكوارث الطبيعية في الجزائر عشية الإحتلال". المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، الجزائر، العدد 7.
- سعد الله أبو القاسم، (1998). تاريخ الجزائر الثقافي، ج2 (1500-1830)، ط1. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- سعيدوني ناصر الدين، الشيخ المهدي بوعبدلي، (1984). الجزائر في التاريخ، العهد العثماني. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- سعيدوني ناصر الدين، (ديسمبر 1985). "الأحوال الصحية والوضع الديمغرافي بالجزائر أثناء العهد العثماني"، المجلة التاريخية المغربية، تونس، العدد 39-40.
- غطاس عائشة، (سبتمبر 1998). "أوضاع الجزائر المعاشية والصحية أواخر العهد العثماني، الجماعات والأوبئة (1798-1830)"، المجلة التاريخية للدراسات العثمانية، تونس، العدد 17-18.
- قاسم أحمد، (2004). إيالة تونس العثمانية على ضوء فتاوى ابن عظم (1574-1600م)، تقديم: عبد الجليل التميمي، ط1. تونس: منشورات التميمي للبحث العلمي والمعلومات.
- Boubaker Sadok. (1955), "La peste dans les pays du Maghreb: attitudes face au fléau et impacts sur les activités commerciales (XVIIe-XVIIIe siècles)", R.H.M, N79, Mai 1955, p 323.